عبد الحفيظ فرغلي القرني

هدي السيرة

في رحاب السيرة العطرة
رحلة مع السيرة المطهرة
محمد المثل الكامل
عظات وعبر في سيرة خير البشر
الرسول شاهدا ومبشرا ونذيرا

١٩٨٣

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

قرآن كريم ...

سورة الأحزاب : الآية ٢١

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين .

وبعد ...

فانه يستعصي على القلم أن يتناول هذه السيرة العطرة ، انها تحتاج الى قلم نورى يفيض الله عليه من قدسه ما يجعله أهلا لأن يعرضها فى ثوبها اللائق بها ، كما تحتاج الى مدد روحى يتفهم به جوانب هذه الشخصية المريدة وعطاءها الزاخر الفياض .

وكيف يتسنى لقلمى العاجز أن يكتب عن خير البشر بعد أن قرظه الحق جل وعلا بقول يفوق كل بيان ويتحدى كل تبيان حين خاطبه قائلا : **« وانك لعلى خلق عظيم »** ؟.

وحسب هذا القلم المتواضع أن يستقى من تلك المنابع الثرة والمراجع المشرقة المتقدمة بعض وقفات يجد المسلم فيها قبسات تعينه على دربه وتهديه الى ربه وتعرفه فضل نبيه وتذكره بواجبه .

وما أحوجنا فى هذه الآونة من حياتنا وقد اعتصرتنا الدنيا ، واحتوتنا المادة ، وتجاذبتنا النوب ، وأحاطت بنا المخاوف ، وتطارحتنا المشكلات ، ما أحوجنا الى أن نراجع سيرة القائد الملهم وجنوده المخلصين الذين باعوا نفوسهم لله ، وآثروا رضوان الله ، واستخلصوا من هدى رسولهم الكريم طريقا سلكوها فبنوا أعظم دولة وشيدوا أروع بنيان !.

ما أحوجنا الآن الى أن نجدد ايماننا وأن نعود الى صفاء ديننا وأن نصحح خطواتنا وأن ننطلق معا فى ركب زاده التقى وعقيدته التفانى فى الله وحب رسوله الكريم — صلى الله عليه وسلم — حبا يفوق حبنا لأنفسنا وأولادنا وأموالنا ، تصديقا للأثر الكريم : **« لا يؤمن أحدكم حتى يكون**

الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » وكيف لا والقـــرآن الكريم يقول : « **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشـــيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** » ؟. (التوبة : ٢٤) .

ان حياة الرســـول — صلى الله عليه وسلم — سجل حافل بالأعمال الجليلة التى يجد فيها كل انسان ما يحتاج اليه من هداية فى دينه ودنياه ، فى مسعاه للاخره والاولى معا ، فلم يكن المصطفى — صلى الله عليه وسلم — الا مثلا أعلى وقمة تسامى بصعه الله ليهتدى بايدى الناس فى هذه الحياه الوعره المسالك الى طريق ممهدة تكفل لهم السعاده والاطمئنان ، هذه هى رسالته : « **قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين** » (يوسف : ١٠٨) . ولذلك سعد من سار على سنن هذه الرساله وشقى من تنكبها .

ولم يكن اختيار الله جل وعلا لهذا الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — لان يكون خاتما للانبيـــاء والرســـل عبثـــا مجردا من الحكمة ، بل هو اختيار مرده فى علم الله الى غايه الحكمه البالغه البصيره بما سينبىء عنه المستقبل ، ويموج به العالم وتضجر عنه العقول وتسفر عنه الأحداث ، وما سيحتاج اليه ذلك من دليل يقود الركب بمنهج صالح لكل زمان ومكان ، فتستقيم الدنيا بأتباعه وتسعد الانسانيه لو استنارت به ، فكان هذا الدليل هو النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا نبى بعده ، وكان هذا المنهج هو كتاب الله وسنه اللذين ما تمسك بهما الا مهتد وما ابتعد عنهما الا ضال .

وقد اصطنع الله رســـوله لنفسه ورباه على عينه ، فجعله نموذجا أعلى للكمال الدينى والدنيوى معا ، فلا ينبغى أن يصدر عنه صلى الله عليه وسلم الا كل ما يكون له هدف فى تحقيق معنى هذه الحكمة التى أرادها الله من بعثه ، وأنه خاتم الرسل الذى أتم الله به النعمة وأكمل الدين ، وجعـــل التشريع الذى جاء به متضمنا من أسرار الحياة والمرونة ما يسير مع الزمن ويحيا مع التطور ، وبذلك يفسر جلال الاسلام وجماله ويفهم معنى نضارته واستمراره .

وهكذا ينبغى أن يفسر ما كان يصدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من تصرفات غاب سر بعضها عن البعض فظنوها سهوا أو خطأ .. وليس معنى ذلك أنه من طينة أخرى غير طينة البشر ، كلا ، بل هو مصداق ما أخبر به عن نفسه فى قول الحق : « **انما أنا بشر مثلكم يوحى الى** » (الكهف : ١١٠) والبشر الذى يوحى اليه يجب أن تتحقق له دواعى العصمة التى تعصمه من التورط فيما يتورط فيه غيره من سائر الناس ، وتحوطه العناية والتوفيق اللذان يكفلان له أن يؤدى رسالته بنجاح ، فتكف عنه بطش الفاتك وأذى القاتل الذى يعوق الرسالة عن المضى الى غايتها التى أراد الله ، وان كان ذلك لا يعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لأذى ، أجل ، فقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأذى عات شديد وتحمله فى صبر وأناة ولم يجعله هذا الأذى — على الرغم من ضراوته — أن يفقد حلمه الذى فطره الله فيه ، فكان دعاؤه المأثور الذى يشهد بفيض رحمته : « **اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون** » .

وهو من أجل أنه بشر كان أهلا للقدوة الطيبة التى يدعو الله عباده اليها حيث يقول لهم « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** » فلولا امكانية التأسى به فى أخلاقه وأفعاله لما دعانا الله الى ذلك ورسم لنا المنهج الذى يوصلنا اليه ، والمنهج نراه فى بقية هذه الآية المتقدمة « **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » — الأحزاب ٢١ — ورجاء الله يعنى الايمان به ايمانا زاخرا قويا وحبه حبا شديدا غالبا ، ورجاء اليوم الآخر يعنى العمل له والاستعداد للقائه ، وذكر الله هو عدة المرء فى سرائه وضرائه ، وذكر الله يستدعى ذكر رسوله الذى أرسله بأن يصلى عليه ويسلم تسليما ، فهو الذى أوصله الى هذه السعادة الأبدية الخالدة ، ولولاه ما كان يدرى ما الكتاب ولا الايمان .

ومن جملة التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة سيرته العطرة ليتخذ منها ذخره الذى لا ينفد ، ويستمد منها تعاليمه التى لا تبلى ، ويأخذ منها نبراسه المشرق الذى يضىء له ظلمات الحياة وينقذه من عثرات الطريق الى الله .. وبذلك يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، مصداقا لقوله

تعالى « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » — النحل ٩٧ — .

ان القلم ليشعر بالعجز حين يتناول هذا الموضوع الكبير ، ولكنه يستلهم من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم شعاعا يعينه على بلوغ غايته التى يريدها . راجيا من الله سبحانه وتعالى التسديد والتوفيق ، وأن يرزقه الاخلاص فى طريقه ، حتى يكون ما يكتبه من وحى النية الصادقة الصالحة والقصد النبيل الهادف . والنية الصادقة أساس كل عمل ناجح « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » .

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم ، واجعله فى ميزاننا يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وارزقنى حب نبيك الكريم حبا يملأ شغاف قلبى ويملك على جوانحى ، فلا طريق اليك الا عن طريق حبه ولا سبيل الى معرفتك الا بسلوك دربه « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** » — آل عمران ٣١ — .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

الحديدة فى ١٥ من صفر ١٤٠٢ هـ

١١ من ديسمبر ١٩٨١ م

النـــبى المنتظـــــر

تتابعت القرون بعد ميلاد المسيح — عليه الســلام — ورســالته ، وكلما امتدت القرون ابتعد الناس عن الهدى ونأوا عن الصواب ، بل انه لم يطل الوقت بعد ارتفاع المسيح الى السماء حتى غير أتباعه وبدلوا ، ولم يبق على الجادة سوى عدد قليل ضنوا بأنفســـهم عن الاختلاط بالناس فألزموا أنفسهم محاريب الأديرة والصوامع يتأملون فى صـــمت ويعبدون فى خفاء ، أو تفرقوا فى الأرض ليس لهم صوت أو تأثير .

وكثر الشـــقاق بين أتباع الدين الواحد ، وبينهم وبين اليهود الذين جاءت رسالة عيسى لتصحح خطواتهم ولتهدى خراف بنى اسرائيل الضالة ، كما جاء على لسان المسيح عليه السلام .

واتسعت الهوة بين أتباع الديانتين حتى ذهب ضحية هذا الشـــقاق الآلاف المؤلفة ، فحين يحفر ذو نواس اليهودى الأخدود للمسيحيين ليحرقهم فيه أحياء يقوم قسطنطين بعد اعتناقه المسيحية باجبار اليهود على اعتناقها بالحديد والنـــار ، وكيف يتمر دين — كانت القوة الغاشمة وراءه — ثماره المرجوة ؟ أو كيف يستقر وجدان انسان يعلم أن ما يؤديه من شعائر لا يوافق عقيدته ولا يوائم ما يؤمن به ؟

وســـــارت الأيام بالكتابيين وهم يغيرون ويبدلون ، حتى أصـــبحت الديانتان — اليهودية والمسيحية — مسخا مشوها لا يمت الى ما أنزل الله بصلة ، بل أن الرومان الذين اعتنقوا المسيحية لم يعتنقوها ايمانا بها ، بل اتخذوها ذريعة للســـلطة ووســـيلة للسيطرة ، ومن أجـــل ذلك خلطوها بوثنيتهم وأضافوا الى حقها باطلهم ، فأصبحت خليطا من هذا وذاك .

وما ظنك بدين — وقد أصبح مسيطرا على الشام وفلسطين ومصر بعد غلبته على اليهودية — ما ظنك به وقد جاء مواسيا للفقراء مشـــيعا للرحمة آخذا بيد الضعفاء فاذا به يتحول على يد معتنقيه من الرومان الى وسيلة للابتزاز والتسلط والجبروت ويتحول على يد المنحرفين عن تعاليمه

والزاعمين حراسته والقائمين عليه الى رغبة فى جمع المال والاثراء غـــير المشروع والتحكم فى مصائر الدائنين به من الناس ؟؟

ولم يجىء القرن السادس الميلادى حتى أصبحت الحالة العقـدية فى منتهى السوء . فقد الناس من الدين وتعاليمه المادية التى أقحمت عليه والتى فاسوا منها الامرين . ولقد كان المفروض أن الدين جاء لينقذهم من براثن المادة ويأخذ بيدهم فى طريق الجادة ويهديهم الى سواء السبيل ..

ولم تكن اليهودية خيرا من ذلك بعد أن أصبحت أقلية منوارية منطوية على نفســـها ، متفرقة فى أنحاء كثيرة من العالم تأكلها الخلافات وتتفانى أتباعها فى جمع المال ويعيشون على زرع الفتن والأحقاد .

أما بلاد فارس — وديانتها المجوسية — فقد اصطلت بنارها وشـــاع الفساد فى أوصالها بعد أن استعبد الناس بعضهم بعضا . وغلب الأقوياء على الضعفاء يســـــومونهم العذاب والنكال ، وضاعت المروءة وانتهكت الأعراض ، حتى لقد أحل الملوك لأنفسهم زواج المحرمات .

ولم تكن جزيرة العرب بخير من الروم أو فارس أو بأفضل من مصر والشام والحبشة ، ولكنها استشرى فيها الفساد وتضاعف الشر والعدوان، وتغيرت المفهومات الخلقية بين العرب حتى أصبح الاسراف كرما والاغارة على الآمنين شجاعة ونجده والاعتداء على القبائل اباء وكرامة ، واستساغ العرب الظلم وتفاخروا به ، حتى قال شاعرهم مسوغا الاعتداء على أقرب الناس اليه :

واحيانا على بكر اخينا اذا ما لم نجد الا أخانا

ويبرر غيره الظلم بأنه ضروره اجتماعيه فيقول : ومن لا يظلم النـــاس يظلم ، ويرى أن المراءاة والمصانعة لابد منهما فى الحياة فيقول :

ومن لم يصانع فى أمور كثيره يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

أما خفر الذمة ونقض العهد فأمر مستساغ للقوى ، ولا يجرؤ عليـــه الا من كرمت أصوله ونمت مروءته ، ومن أجل ذلك هجا شاعر قبيلة بقوله :

قبيلتـــه لا يخفرون بذمـــة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء الا عشـــية اذا صدر الوراد عن كل منهل

وحين افتخر عمرو بن كلثوم افتخر بعصبيته القاشمة وقدرته على البطش والظلم فقال :

ونشرب ان وردنا الماء صفوا وبشرب غيرنا كدرا وطينا

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

لقد أصبحت القوة الغاشمة تتحدث عن نفسها وأخذت تستعلن لتكون اللغة الوحيدة السائدة ، فاستعبد الأغنياء الفقراء وأذل الأقوياء الضعفاء ، وبيع الناس فى الأسواق بيع الرقيق ، وساد الظلم حتى طم ومس أقرب الأقرباء ، وتناول الابنة الوليدة فى مهدها فدفنت حية بحجة واهية هى خشية العار أو خشية الفقر ، وماذا ينتظر من قوم ماتت فى قلوبهم عاطفة الأبوة ، وغاصت الرحمة الفطرية التى أودعها الله القلوب حتى قلوب العجماوات من الطير والحيوان !. وقد صور القرآن الكريم ذلك أروع تصوير حيث قال « **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون** » — النحل ٥٨ ، ٥٩ — .

حلف الفضول : وربما كان هناك بعض الاستعداد الطيب فى بعض النفوس يظهر أحيانا فيقف من هذا الظلم موقف الاحتجاج ، من ذلك موقف بعض أشراف مكة من العاصى بن وائل السهمى ، الذى ظلم تاجرا من بنى زبيد وفد على مكة البلد الحرام بتجارة ، فأكل حقه ورفض أن يعطيه ثمن تجارته ، فاستعدى عليه الزبيدى قبائل قريش والأحلاف فلم يكترثوا له ، فوقف هذا الرجل بجوار الكعبة ونادى قائلا :

يا آل فهر لمظلوم ، بضاعته ببطن مكة ، نائى الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر

ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام بثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمع من بنى هاشم وبنى المطلب وبنى أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة نفر فى دار عبد الله بن جدعان وتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم الا نصروه وكانوا معه على من ظلمه حتى ترد مظلمته ،

وقد سمت قريش هذا الحلف حلف الفضول ، الذى شهده رسول الله صلى عليه وسلم — قبل بعثته — وقال فى حقه بعد أن بعث : « لقد شهدت مع عمومتى حلفا فى دار عبد الله بن جدعان ما أحب به حمر النعم ، ولو دعيت به فى الاسلام لأجبت » .

مواقف أخرى : ومن ذلك ما نراه فى موقف هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين وقفا جهودهما على امام الصلح بين قبيلتى عبس وذبيان — وكانت الحرب قد استشرت بينهما وطالت — وتحملا فى سبيل انمام الصلح ديات القتلى ، وقد سجل زهير بن أبى سلمى هذا الموقف النبيل فى ملعقته قائلا :

يمينـا لنعـم السـيدان وجـدتما
عـلى كل حـال من سـحيل ومبـرم
تداركتما عبسـا وذبيـان بعـدما
تفـانوا ودقوا بينهـم عطـر منشـم
وقد قلتما : ان ندرك السـلم واسـعا
بمال ومعروف من القـول نسـلم
فأصـبحتما منهـا عـلى خـير موطن
بعيـدين فيهـا عن عقـوق ومأثم

الا أن هذه البوادر الطيبة لم تلبث أن تنزوى فى طيـات الظلام الذى ألقى رواقه فى ربوع الجـزيرة العربيـة ، التى اضـطرمت بالشر وماجت بالحروب ، فاصـطلى الجميع بنارها ، وربما امتدت الحـرب بين حيين أو أكثر سنين طويلة .

ولم يكن ذلك الا صورة مما كان يحدث فى خارج الجزيرة العربية من حروب طاحنة بين الدولتين الكبيرتين اذ ذاك : الفرس والروم ، وربما امتد أوارها الى العرب أنفسهم حيث كان أبناؤهم وقودا لهذه الحرب فى بعض الأحيان ، حينما كان المناذرة يناصرون الفرس والغساسنة يناصرون الروم .

عبادة الأصنام : وتم الضياع فى الجزيرة العربية بعبادة الأصنام التى

كانوا ينحتونها بأيديهم من الأحجار أو يصنعونها من الخشب أو العجوة ثم يسجدون لها من دون الله ، ويستغيثون بها فى الملمات وينحرون لها ، وكان هذا أعظم خزى يصاب به الانسان ويرتكس فى حمأته ، حيث يحكم الجماد فى مصيره ، ويخضع لمخلوق خلقه بيده أو اتخذه من مصنوعات الله أيا كانت فى شمس أو قمر أو شجر أو جن أو غير ذلك . ومن المفارقات المضحكة أن بنى حنيفة كانوا يتخذون الههم من العجوة فاذا أصابتهم مجاعة أكلوه ثم يصنعون غيره بعد ذلك ، حتى سخر منهم شاعر فقال :

أكلت حنيفة ربها عام التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

ثم انهم بعد ذلك لا يؤمنون ببعث ولا نشور ، فهم لا يدركون لهم فى الحياة غاية يسيرون اليها ولا هدفا خلقوا من أجله ، وحق لهم اذن أن يعيثوا فى الأرض فسادا ويحكموا قانون الغاب ما داموا لا يؤمنون بأن هناك ثوابا ولا عقابا « **وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون** » — الجاثية ٢٤ — فاذا هبت تناقشهم هزوا رءوسهم ساخرين وقد صور القرآن الكريم حالهم ذلك قائلا : « **بل عجبت ويسخرون . واذا ذكروا لا يذكرون . واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . او آباؤنا الأولون** » — الصافات ١٢ : ١٧ —

وهكذا انتشر الضلال فى كل مكان من عبادة للنار فى فارس ، الى عبادة للحيوانات فى الهند ، الى عبادة للأوثان فى الجزيرة العربية واليونان ، الى تثليث واشراك فى روما وفلسطين والشام ومصر وغيرها من مختلف الأقطار والأوطان .

وكان من الطبيعى أن تضيق النفوس وتضطرب الأفئدة ويتعطش الناس الى منقذ يأخذ بأيديهم وهاد يهديهم السبيل ، فانه لا يبعث الأمن والأمان الا الدين السوى ، ولا يثير الشعور بالاطمئنان فى النفوس الا التحصن بالايمان الحق والالتجاء الى الله قادر يجد الانسان فى كنفه الهدى

والسعادة والحماية . انه يقف ربه مناجيا منشرحا فيجد سرعة الاستجابة التي تقر عينه ونعما وجدانه املا وفرحا مصداقا لقوله تعالى « **واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** » — البقرة ١٨٦ — .

وانك لتجد الايمان بالله شيئا فطريا في النفوس ، لا تحجبه الا كثافة المادة او الانحراف عن الطريق السوي او وسوسة النفس وشياطين الجن والانس والانتكاسة التي ترد الانسان الى الوراء وتعوقه عن المضي في طريق الرشاد ..

انه بفطرته يهتف باسم ربه في الضراء وهو راغم « **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون** » — الأنعام ٦٣ ، ٦٤ — ، وانهم ليعترفون راغمين أيضا بالله « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ... ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون** » — العنكبوت ٦١ — ٦٣ .

ان المؤمن مطمئن بايمانه فهو منشرح الصدر مستريح الخاطر قرير العين ، وعلى النقيض منه ذلك الذي أغلق عينيه دون النور وأصم أذنيه عن الهدى فهو يتخبط في الظلام ويتعثر في الضلال ، تمتلىء طريقه بالأشواك فلا يستطيع أن ينتزعها ، وصدق الله اذ يقول « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** » — الأنعام ١٢٥ .

وما أروع تصوير حال هؤلاء الكفار الذين ضاع قصدهم وضل سعيهم في قوله تعالى « **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب — أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه**

سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » النور ٣٩ ، ٤٠ .

واذن فقد تعثرت خطا الناس لأنهم لم يسيروا فى طريق الهدى ، فعليهم أن يلتفتوا باحثين عمن يصحح لهم الخطأ ويكشف أمامهم الطريق ..

لقد فقدت الأرض هذا الهادى فليتطلع الناس الى السماء ..

ان هذه الفتن التى ماجت بها الأرض لا يمكن أن ينقذ الناس منها الا نبى يوحى اليه من السماء تحقيقا لبشريات سابقة وعدت بها الكتب المنزلة قبل أن تتناولها الأيدى بالتحريف والتبديل .

البشارات السابقة : ولقد أشار القرآن الكريم الى بشارات الكتب السابقة بنبى آخر الزمان ، وقد وردت فى أماكن متفرقة منه ، ففى سورة الأعراف يقول الحق تعالى «**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل** » ١٥٧

ويشهد بذلك أن الأحبار والعلماء من أهل الكتاب كانوا يعرفون أن نبيا سيبعث من العرب له علامات يثبتونها .. وفى قصة بحيرى التى سترد بعد شاهد على ذلك ، وفى اسلام عبد الله بن سلام وغيره من اليهود شاهد كذلك ، وقد نزل فى قصة اسلام عبد الله قوله تعالى فى سورة الأحقاف « **قل أرأيتم ان كان من عند الله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين** » ١٠ .

علم اليهودية : لقد كان اليهود يدركون تماما أن نبيا سيبعث ، وكانوا يتوعدون به الأوس والخزرج ويقولون لهم : ان نبيا سيبعث نتبعه ونحاربكم على دينه ونقتلكم قتل عاد وارم ، ولكن الأوس والخزرج سبقوا اليهود فى الايمان بهذا النبى المنتظر . وكفر اليهود به استكبارا وحسدا . وأشار القرآن الكريم الى ذلك فى عدة مواضع منها « **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** » — البقرة ١٤٦ — ومنها « **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من**

قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » — البقرة — .

وجاء فى كتاب نور اليقين للشيخ محمـــد الخضرى « روى القاضى عياض فى الشفاء أن ابن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن « **يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** » وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، ســـميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالســـيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ومن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ، ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا » .

وروى مثله عن عبد الله بن سلام — رضى الله عنه — وهو الذى كان رئيس اليهود فلم تعمه الرياســـة حتى يترك الدين القويم ، وكذلك كعب الأحبار ، وفى بعض طرق الحديث : ولا صخب فى الأسواق ولا قوال للخنا ، أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباســـه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفـــو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته الهدى أمامه والاسلام ملته ، أحمد اسمه ، أهدى به بعد ضلالة ، وأعلم به بعد جهالة ، وأرفع به بعـــد الخمالة ، وأســـمى به بعد الفكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

« وقد أخبر — عليه الســـلام — عن صـــفته فى التوراة فقال وهو الصادق الأمين : عبدى أحمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة — أو قال طيبة — وأمته الحامدون الله على كل حال » .

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء « نبـــوة محمد موجودة فى التوراة رغم ما اعتورها من التحريف والتشذيب ، وهانذا أسوق تلك المواضع من التوراة تعجيـــلا للفائدة ، ففى الآية العشرين من

الاصحاح السابع عشر — تكوين — « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه هأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا » ولفظ العبارة الأخيرة فى العبرية [هنى ببرختى أوتو وهفريتى أوتو وهربيتى أوتو بماد ماد] بامالة فى بماد ماد الى واو .

« ومن عادة العبرانيين الاعتماد فى الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة من جهة الحساب ، فلو حسبنا لفظ بماد ماد بالجمل لكانت جمل « محمد » بلا زيادة ولا نقصان ٩٢ ، وهو من أبناء اسماعيل الموعود بالبركة والاثمار فى أبنائه » .

وأضاف الشيخ النجار فى هامش الصفحة ما يلى : « ثانيا فى الآية ١٥ من الاصحاح ١٨ من سفر التثنية قول موسى لبنى اسرائيل : ١٥ — يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك ، مثلى له تسمعون — ١٦ — حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة لئلا أموت — ١٧ — قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلموا — ١٨ — أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيتكلم بكل ما أوصيه ..

« فقوله من اخوتهم وقوله من وسط اخوتهم تدل على أن الموعود به لا يكون من بنى اسرائيل بل من اخوتهم ، وأخوتهم بنو اسماعيل كما تدل على ذلك الآية ١٨ من الاصحاح ٢٥ تكوين : وسكنوا أى أبناء اسماعيل من حويلة الى شور التى أمام مصر ، حينما تجىء نحو أشور أمام جميع اخوته نزل ، وحويلة هى بلاد خولان على تخوم اليمن مما يلى الحجاز ، ولا مقابل لأبناء اسماعيل فى جهة شور سوى بنى اسرائيل ، وفى الآية ١٢ من اصحاح ١٦ تكوين « أمام اخوته تسكن . وقوله : أجعل كلامى فى فمه تدل على أنه يكون أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يقم نبى أمى سوى محمد منذ خلق الله الدنيا .

« ثالثا : الآية الثالثة من الاصحاح ٣٨ تثنية : جاء الرب من سينا وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس وعن

بمينه نار شريعة لهم . مجبل فاران بمكه . وهى البلاد التى سكنها اسماعيل » (١) قصص الأنبياء ص ٢٩٣ .

وفى الانجيل أيضا : وكما بشرت التوراة بالنبى صلى الله عليه وسلم بشر الانجيل كذلك ، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك فى سورة الصف حيث قال : **« واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد »** — ٦ — .

وقد وردت هذه الآية فى الأناجيل على لسان المسيح عليه السلام « سيأتى بعدى من لست أهلا لأن أحل سيور حذائه » وان كانوا قد حرفوا هذا القول بأن نسبوه الى يوحنا قاصدا المسيح . قال الشيخ محمد الخضرى فى كتاب نور اليقين « لقد وصف المسيح هذا « الفار قليط » بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال : انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع — وهذا ما ورد فى القرآن الكريم فى سورة النجم **« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى »** ٣ ، ٤

أما انجيل برنابا الذى يحمل عليه المسيحيون حملة شعواء لأنه لم يجر فى تيار التحريف كثيرا كغيره من الأناجيل فقد ذكر اسم النبى صلى الله عليه وسلم صراحة . فكلمة « الفار قليط » تعنى النبى المرسل — على حد تعبير يوحنا — حيث حكى عن المسيح عليه السلام قوله « ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصايای ، فأنا أطلب من الأب فيعطيكم « فار قليطا » ليمكث معكم انى الأبد روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ومنكم » .

---

(١) يضاف الى هذه النصوص ما جاء فى سفر اشعيا : ان البرية ترفع صوتها بذكره وهى الديار التى يسكنها فيدرا — وفيدرا أحد أجداد النبى فى سلسلة النسب بينه وبين اسماعيل . وجاء أيضا : ان علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام . وفى صحيح مسلم حديث عن هذه العلاقة ، وفى المزامير ملوك اليمن تأتيه بالقرابين ، وأنه يبارك عليه كل يوم ، وأنه متقلد سيفا ، وكل هذه الأوصاف تنطبق عليه .

ومعنى مكثه الى الأبد بقاء تعاليمه التى تضمنها القرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه من التغيير والتبديل « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » الحجر ٩ .

وجاء فى سيرة ابن هشام : قال ابن اسحاق : وقد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه الله فى الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله صلى الله عليه وسلم انيهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوننى ، وأيضا للرب ، ولكن لابد أن تتم الكلمة التى فى الناموس أنهم أبغضونى مجانا أى باطلا ، فلو قد جاء « المنحمنا » هذا الذى يرسله الله اليكم ، من عند الرب وروح القدس ، هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد على وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معى فى هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا ».

والمنحمنا بالسريانية محمد ، وهو بالرومية البرقليطس صلى الله عليه وسلم . ج ١ ص ٢١٥ .

وفى قصص الأنبياء : كان المسيح يعبر عن المبشر به بلفظ النبى وبلفظ « مسيا » وبلفظ « فارقليط » وهو تعريب لفظ « بير يكلتوس » اليونانية ، ومعناها الذى له حمد كثير ، كما عبر عنه بعض الكتاب بلفظ ايلياء ، واليهود يظنون أن ايلياء يأتى اليهم ، ولكن اذا عرفوا أن ايلياء جملتها ٥٣ كجمل لفظ احمد زال الاشكال ، وكان يعبر عن الشريعة الآتية بلفظ ملكوت السموات . ولقد سأل مؤلف الكتاب الشيخ النجار الدكتور « كارلونلينو » المستشرق الايطالى عن ترجمة كلمة « بيريكلتوس » فأجابه بقوله : ان القسس يقولون : ان هذه الكلمة معناها « المعزى » فقال له : انى أسأل الدكتور كارلونلينو الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيسا ،فقال : ان معناها الذى له حمد كثير ، فقال هل ذلك

بوافق افعل التفضيل من حمد ؟ فقال نعم (١) . قصص الأنبياء ص ٣٩٧ .

وشهادة سلمان : وفى قصة اسلام سلمان الفارسى دلائل تشير الى معرفة الرهبان والأساقفة لنبى آخر الزمان عليه الصلاة والسلام ، فقد قال سلمان على لسان أسقف عمورية وقد حضرته الوفاة وكان سلمان قد لزمه آملا أن يهديه الى الحقيقة : يا بنى ما أعرف أحدا على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ، ولكن قد أظلك زمان نبى يبعث بدين ابراهيم حنيفا يهاجر الى أرض ذات نخل بين حرتين ، فان استطعت أن تخلص اليه فافعل ، وان له آيات لا تخفى ، فهو لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية وان بين كتفيه خاتم النبوة اذا رأيته عرفته .

المتحنفون : وفى قصص المتحنفين الذين كانوا يبحثون عن الحق فى الجاهلية شواهد مماثلة تدل على توقع ظهور نبى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا . ويطهر الدنيا من ذلك الرجس الذى تردت فيه ، ويكشف الظلام الذى أحاط بالناس فلم يعودوا يستطيعون أن يفرقوا بين الحق والباطل . قال ابن اسحاق : اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ، فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل ، وهم ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد ابن عمرو بن نفيل . فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شىء

---

(١) أخبر انجيل متى بأن الهداية تنزع من بنى اسرائيل وتعطى لأمة أخرى . وأخبر انجيل يوحنا « ان لى أمور كثيره أيضا لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا وأما متى جاء ذاك — روح الحق — فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم ويخبركم بأمور آتية . كما أخبر أيضا بأن القبلة ستتحول من بيت المقدس » أما انجيل برنابا فقد جاء فيه : فلما كان الناس قد دعونى الله وابن الله على أنى كنت بريئا فى العالم أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب قليلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة ، وسيبقى هذا الى أن يأتى محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله — الباب ٢٢٠ .